الوعي بإستراتجية النّص الشّعري لدى الأمير عبد القادر الجزائري
(قراءة في أعمال محمد بشير بويجرة)

Conscience de la Stratégie du Texte Poétique chez L'émir Abdelkader (Lecture dans les travaux de Bachir Bouiadjra)

مقدم فاطمة •

تؤكد معظم الدراسات النقدية الحديثة أن الشعر العربي مرّ –قبل مرحلة الحداثة– بمرحلة تسمى مرحلة "الإحياء والبعث"، وقد أسندوا ريادتها للشاعر المصري محمود سامي البارودي، الأمر الذي دفع بالناقد الجزائري محمد بشير بويجرة إلى التساؤل عن موضع الشاعر الجزائري الأمير عبد القادر من هذه المرحلة.

وعند هذا المعطى بالذات، يشير بويجرة إلى أنّ رغبته في الإجابة على هذا السؤال وما يدور في فلكه من الأسئلة والقضايا ذات الارتباط القوي بالشعر، والبارودي وبالأمير عبد القادر، قد كبرت، بل وأصبحت الإجابة عنها من الأمور الملحة التي يرجو من خلالها إثراء الحقل الأدبي الشعري في الوطن العربي، وكذا إثارة بعض الأسئلة في ذهن القارئ حول ما يكتنف أدبنا الجزائري من أسرار، وبهذا يساهم مستقبلاً في الكشف عن خبايا وكنوز وطننا الحبيب، ومن ثم يعيد له اعتباره ومكانته التي يستحقها ضمن الأدب العربي والعالمي.

ومن العوامل التي دفعت بويجرة إلى خوض غمار الكتابة في هذا الموضوع، إشادة عبد الرحمن الرافعي بمحمود سامي البارودي ونعته بإمام الشعراء المحدثين، فقد قال الرافعي ما نصه: «.. محمود سامي البارودي هو إمام الشعراء المحدثين قاطبة وباكورة الأعلام في دولة الشعر الحديث، وهو أول من نهض به وجارى في نظمه فحول الشعراء

• باحثة بجامعة وهران

المتقدمين، فبعث النهضة الشعرية من مرقدها بعد طول الخمود»[1] واطلاعه أيضًا على ما كتبه شوقي ضيف في كتابه الموسوم بـ "البارودي رائد الشعر العربي الحديث"، والذي يقول في مقدمته: «نشأ محمـــود سامي البارودي في عصر انقطعت فيه الصلة بين الشعراء في جميع الأقطار العربية وأسلافهم القدماء انقطاعًا أخلى أشعارهم من كل رواء فإذا هي لغـو من القول وما يشبه اللغو... وقد رأيت أن أفرد هذا الشاعر المبدع، الذي يعدّ أبًا للشعر الحديث...»[2].

وبعد اطلاعه على كتاب عبد الرزاق بن السبع الموسوم بـ "الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه"، انقطع خيط الرجعة بينه وبين عدم الإجابة، وذلك لسبب بسيط–لاحظه بويجرة– يتمثل في كون الأستاذ عبد الرزاق، رغم جهده فيما ذهب إليه، قد أرجع كلّ ما أبدعه "الأمير" من أشعار لا يخرج عن التقليد للقدماء والمشي فيه على درب الفحول والفصحاء من صانعي البيان العربي، إلاّ أنّه عندما يقف على مواطن التجديد في شعر الأمير كان يمّر عليه مرور الكرام، لا يثمنه ولا يحلله ولا يبرز فضل الأمير فيه.

غير أنّ الذي ملأ قلبه ثقة في العروبة وأشاد بمسيرة وطننا العزيز، فهو ما كتبه شاعر العروبة الكبير الأستاذ أحمد عبد المعطي حجازي في مقال له بعنوان "لماذا نتجاهل الشعر الجزائري"، والذي جاء فيه: «لقد عرفت الثقافة العربية في الجزائر خلال العصور الماضية ما عرفته في كلّ بلد عربي آخر من ازدهار وضعف لسبب بديهي هو أنّها ثقافة واحدة تنتسب للغة العربية وللإسلام أكثر مما تنتسب لهذا البلد أو ذاك... حين نقرأ شعر الأمير عبد القادر نتذكر معه البارودي. كلاهما فارس وكلاهما شاعر، وإن رجحت كفة الأمير في الأولى ورجحت كفة البارودي في الأخرى، والشبه لا يقف عند هذا

[1] عبد الرحمن الرافعي، شعراء الوطنية في مصر، ط02، 1966م، ص25، نقلاً عن بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، منشورات دار القدس العربي الحديث، ط03، 2009م، ص06.

[2] شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث، دار المعارف بمصر، ط02، د/ت، ص05، 06، نقلاً عن بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، المرجع السابق، ص07.

الإطار الخارجي، بل يتعداه إلى الشاعرين، وإلى موضوعاتهما، فقد اتخذ كل منهما الشعر للإفصاح وللتعبير لا للزخرفة والتصنيع»[1].

وتأسيسًا على ذلك، يصرح بويجرة في مقدمة كتاب الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث عن رغبته في وضع الأمور وفق ما تقتضيه ضرورة البحث والتقصي بعزم صارم وبأفكار جادة تسعى إلى إثراء المكتبة الوطنية الجزائرية بخاصة، والعربية بصفة عامة، كيف لا، وهو الذي سخر قلمه في سبيل الدفاع عن مكانة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.

ولتحقيق ذلك عمد بويجرة إلى وضع خطاطة توزعت على خمسة فصول: حيث اقترح للفصل الأول منها عنوان: "جدلية الغبن والمبتغى الجمالي"، وفيه رصد العلاقة الممكنة بين البيئة وما أفرزته من تأثيرات وظلال على أدبية وشاعرية الأمير وبين التعلم والتكوين وما تركاه من بصمة في صقل موهبة الأمير الشعرية حتى تواكب عبقريته العسكرية والنضالية.

أما الفصل الثاني، فقد جاء بعنوان "المبايعة بين القساوة والمفاجأة..."، وفيه لاحظ أنّ حادثة المبايعة كان لها أثر خاص على حياة الأمير، حيث تجاذبته بعدها نزعتان؛ نزعة العزّ والفخر والأمل فيما يحمله المستقبل من سلطة ومكانة، ومن شرف وفخر كبيرين في رد الغزاة والدفاع عن شرف الوطن وحماية شعبه، ثمّ نزعة الخوف والقلق من المصير المجهول المخبأ وراء هذه الحادثة غير المسبوقة في تاريخ الأمة الجزائرية، وفي حياة الأمير نتيجة لصغر سنه.

واقترح للفصل الثالث عنوان: "التجلي الشعري وأبعاد التجاوز"، وفيه عالج بويجرة الحدود الفاصلة بين المعيش والمتخيل في القصيدة العربية الأميرية وذلك من خلال الكشف عن نتف أو الماحات يمكنها أن تؤسس لحداثة شعرية تتجاوز النمط الشعري الكلاسيكي، فوجد الأمير قد رسم لنفسه منهجا ورؤية في نظم الشعر بعده أداة أساسية في تكميلية

[1] جريدة الشرق الأوسط، تاريخ 10ماي 1983م، ص13، نقلاً عن بشير بويجرة، الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، المرجع السابق، ص07.

شخصيته وفي بناء ذائقته الأدبية مما جعل قصائده تعبر عن هموم وطنه وشعبه، مما يضفي عليها طابعا استراتيجيًا زيادة على وظيفتها الشعرية والأدبية.

في حين جاء الفصل الرابع بعنوان " الوعي بإستراتيجية النص الشعري أو بوادر أو سمة الريادة..."، وفيه بادر بويجرة إلى تقصي المعايير التي تتوفر عليها شعرية الأمير المنتزعة من تجربة معيشية على ضوء تجارب الشعرية العربية التي أصبحت عند الأمير موروثًا يجب الاحتذاء به وتقليده مع الحرص على إضفاء طابع المعاصرة والحداثة.

أما الفصل الخامس والأخير، فقد وضع له عنوان "إحياء، حداثة، ومعاصرة؛ رسم لمعالم المستقبل في شعرية الأمير"، وفيه أجرى الناقد موازنة بين المنطوق الشعري والمعيشي لدى كلّ من الأمير والبارودي، ولقد لاحظ إمكانية تقدم الأمير في رصّ الإلماحات والممرات الأولى للحداثة والمعاصرة في الشعر العربي خلافًا لما هو متداول إلى حدّ الآن، وهو تداول يقر أنّ رائد الشعر العربي الحديث هو البارودي ليصل الباحث في الأخير بعد تحقيق وتلخيص ودراسة جادة إلى أنّ هذه الريادة تعود إلى الأمير عبد القادر لأنّه أسبق منه زمنًا وتتوفر في شعره معظم الخصائص الفنية والموضوعاتية المتوفرة في شعر البارودي.

ومن بين هذه الفصول الخمسة، ارتأيت أن أقف عند الفصل الرابع منها الموسوم بـ : "الوعي بإستراتيجية[1] النص الشعري... أو بوادر الريادة"، والذي عبر من خلاله بويجرة عن رأيه الذي يوحي بموضوعيته في البحث والتقصي الدقيق المفضي إلى الحقيقة التي تجاهلها القراء والنقاد العرب.

[1] الإستراتيجية خطة في المقام الأول للوصول إلى الغرض المنشود، وبما أنّها كذلك، أي خطة، فهي ذات بعدين؛ أولهما: البعد التخطيطي، وهذا البعد يتحقق في المستوى الذهني. وثانيهما: البعد المادي الذي يجسّد الاستراتيجية لتتبلور فيه فعلاً. ويرتكز العمل في كلا البعدين على الفاعل الرئيس، فهو الذي يحلّل السياق، ويخطط لفعله، ليختار من الإمكانات ما يفي بما يريد فعله حقًا، ويضمن له تحقيق أهدافه، وعليه تتنوع الاستراتيجية بتنوع العناصر السياقية، وهذا ما جعل البعض يصطلح على تسميتها بالاستراتيجيات. يراجع عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط01، 2004، ص52.

فقد لاحظ أنّ الاعتقاد السائد حتى هذه اللحظة في مواد ومقاييس الأدب العربي من أنّ رائد مدرسة الإحياء في الشعر العربي هو محمود سامي البارودي، في حين أنّ التأريخ لأي ظاهرة أدبية لابد من أن يخضع للتراتبية الزمنية، لذا عمد في هذا الفصل إلى إجراء موازنة بين الأمير والبارودي، فوجد أنّ نقطة الارتكاز في هذه الموازنة تبدأ من حيث المنشأ، فالأمير ولد سنة 1807م، في حين ولد البارودي في سنة 1839م، مما يدل على تقدم الأمير في العمر وفي تجربة المقاومة والنضال والحياة العسكرية وفي تجربة الإبداع الشعري بالخصوص.

وفي هذا السياق يُقر بويجرة بوجود الكثير من العناصر والقضايا التي يشترك فيها الأمير والبارودي، نذكر منها على سبيل المثال:

أنّ الأمير عبد القادر ولد في الريف الجزائري وتربى فيه، وهو ما اكسبه القوة والشجاعة، فزاد تمسكه بأرضه، «فطبيعة البيئة التي ولد فيها الأمير وتربى فيها بيئة غنية ومتنوعة أيضًا. فمنطقة القيطنة، حيث ولد، الواقعة على وادي الحمام الجميل المحاط بالأشجار الباسقة والجبال الشاهقة الخضراء والأجواء الواسعة والسماء الصافية في الصيف والخريف والثائرة الغاضبة في الشتاء والربيع، يضاف إلى ذلك قطعان الماشية المنتشرة هنا وهناك، والشمس المحرقة في الصيف والذليلة في الشتاء، كلّها تركت طابعها على شخصية الأمير عبد القادر، بل وانعكست على تصرفاته. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ نسب الأمير وارتباطه بالتاريخ العربي الإسلامي ومكانة أسرته بين بني وطنه، قد جعلته فخورًا معتزًا بأصله وشرفه، مادحا في أشعاره ونثره لأمته العربية الإسلامية. وهذه النخوة هي التي دفعته في الحقيقة إلى حمل السلاح والدفاع عن الوطن والأرض والعرض»[1] بدليل المعارك والحروب التي خاضها وهو شاب صغير لم يتجاوز سنه الاثنين والعشرين سنة ذو ثقافة ريفية دينية وفقهية خالصة وسلوك بدوي، وهذا يجعل تجربته الشعرية تتسم بالصدق في أغراضها ومبانيها.

[1] أنظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978م، د/ط، ص128.

وفي المقابل كان تكوين البارودي عصريا وحديثا ساعده على التعرض لقضايا الفن والجمال في البوح الشعري، بالإضافة إلى امتلاكه لأمهات ومصادر التراث العربي الأصيل بسبب يسر حالته العائلية، كما أنّه بعد أن شب عن تربية الخدم والحشم في القصور التحق وسنه إحدى عشرة سنة بالمدرسة الحربية سنة 1850م، والتي تخرج منها في سنة 1854م برتبة "باشجاويش"، ثم عين وزيرًا للمعارف والأوقاف، ثم وزيرا للبحرية والحربية، ثم رئيسًا لمجلس النظار (مجلس الوزراء).

إنّ كلا الرجلين جمع بين الروح العسكرية وبين الروح الشعرية، والتاريخ يشهد على رؤيتهما للبطولة، فكلاهما قاد المعارك بحيث انتصر في البعض وانهزم في البعض الآخر، غير أنّ الأمير عايش الانتصارات والهزائم عن قرب أكثر من البارودي، لأنه القائد الوحيد لجيش يغلب عليه البعد الجهادي، في حين كان البارودي قائد كتيبة أو فيلق في جيش نظامي تحت إمرة دولة ذات سيادة والفرق واضح بين الرجلين من خلال الحالة النفسية الناشئة عن الهزائم والانتصارات وعن مصادر التموين والحماية، كما أنّ كلا منهما نفي؛ الأمير إلى "امبواز" ثم "اسطنبول" ثم "دمشق"، والبارودي إلى "سُرنديب".

واعتمادًا على ما سبق ذكره، يمكننا القول إن بويجرة استطاع الكشف عن الكثير من الأحكام العامة التي تهضم وتسقط حق الأمير، فهو على الرغم من أنّه ترك ديوانا شعريا كاملا لم يتبوأ مكانته التي يستحقها في المنظومة الأدبية العربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر وجد شوقي ضيف في كتابه البارودي رائد الشعر العربي الحديث لم يذكر حتى اسم الأمير عبد القادر في قائمة شعراء الأمة العربية، ولم يشر إليه بنصف كلمة على الرغم من أنّ شهرته كانت تطبق الآفاق العالمية وليس العربية فقط، وعلى الرغم أيضا من أنّ ديوان الأمير حققه وقدم له الناقد والشاعر والأديب السوري ممدوح حقي في سنة 1964م، ويصرح بويجرة أنّه في البداية اعتقد أنّ الأمر قد يكون مجرد سهو أو فلتة قد يعاد فيها النظر بعد سنة 1964م، غير أنّه عندما قرأ كتاب عبد الرحمن الرافعي أدرك بأنّ هناك مقصدية وإرادة في تقزيم حجم شخصية الأمير، من خلال تهميش وإبعاد بلد عربي كالجزائر عن أداء دوره في أية نهضة أدبية وثقافية.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الوعي بإستراتيجية النص الشعري الأميري من خلال الوقوف على الوجه النّاصع لشاعريته التي أنزلها بويجرة ضمن سياق العصر وضمن الإستراتيجية الدفاعية التي رسمها الأمير لنفسه عن هوية الوطن والأمة دون تجاوز أسبقية التعبير عن هموم الذّات وغرائز البوح الشعري لديه وبهذا توصل بويجرة إلى أنّ القصيدة الأميرية تشكّل منعطفًا مهمًا وجوهريًا في ساحة التجديد والحداثة، زيادة على الرّيادة في إحيائها وفي بعثها.

ويتشكل ذلك المنعطف في كون القصيدة الأميرية وشاعريته يمكنهما أن تحيلنا على مجموعة من الإضافات التي أثرى بها الشعرية العربية مثل:

1. التعبير عن المعاش وعن التّجربة: ويتجلى ذلك من خلال قصيدته "عذاب الأسر"، والتي يقول في مطلعها:

ماذا على سادتنا أهل الوفا لو أرسلوا طيف الزّيارة في خفا

لاحظ بويجرة أنّ طرح الأمير عبد القادر لقضية عدم زيارة الأهل والأصدقاء والأحباب بصيغة الاستفهام الموجّه إلى المجهول–السّادة الموصوفين بأهل الوفاء–يحمل كمًا هائلاً من السّخرية والاستهزاء، وفي هذا دلالة على عدم حصول الزيارة التي كان يتوقعها الأمير من أولئك الذين يعتبرون أنفسهم حماة الدين والوطنية وينصبون أنفسهم سلاطين وملوك وأمراء على المسلمين ويَدَّعُونَ السّهر على مناصرة الدين الإسلامي وعلى حماية البلاد والعباد من بطش الغازين ومن كيد الكائدين وهو الأمر الذي ولد لدى الأمير عبد القادر خيبة أمل كبيرة.

2. التأسيس لفكرة البطل الإشكالي: لقد رسمت أشعار الأمير عبد القادر رؤى وأبعاد جديدة تتجاوز المعايير التقليدية للبطولة، ولبلورة هذه الفكرة وإثرائها اقترب بويجرة من شعر الأمير حسب ما تيسر له، فوجد أن أشعاره رسمت بطولة تتميز باحتكاكها المباشر بالإنسان الواقعي الذي تجتمع فيه بوادر القوّة وشدّة البأس، مع ما يتملكه من غرائز شتى كنوازع الخير والشّر والشجاعة والخوف والبطش أمام العدّو والأخطار، واللّين والضُّعف في مواجهة ذات الخمار، وخير دليل على ذلك قصيدته المعنونة "بي يحتمي جيشي"

التي تجتمع فيها، بنفس القوّة وبنفس الوتيرة، صفتان متناقضتان هما؛ الشّجاعة والشّدة والقوّة مقابل اللّين والإحساس بالضعف والرّقة "أمام أم البنين"، والتي يقول فيها:

تسـألني أمّ البنيـن وإنّهـا لأعلم من تحت السّمـاء بأحوالي

3. التأسيس لفكرة حوار الأديان والحضارات: أشار بويجرة إلى أنّ الأمير عبد القادر قد أدرك أن ما تقوم به الجيوش الفرنسية في الجزائر هو غزو صليبي وتجاوز صارخ للمبادئ الإنسانية، ووفق ذلك كان من الطبيعي أن ينظم الأمير عبد القادر شعرًا فيه إساءة وتشويه لسمعة فرنسا ومؤسساتها أو إلى الدين المسيحي أو يتجاوز أساليب اللياقة، لكنّه لم يفعل شيئًا من ذلك، بل يمكن القول إنّه لم يذكر فرنسا إلا بكلمات لطيفة مهذبة تدلُّ على رفعة الخلق وعلى مستوى تهذيبي وحضاري راق جدًا مثل قوله:

وعنّي سلي جيش الفرنسيس تعلمي بأنّ منـــايـــاهم بسيفي وعسـالي

أو قوله:

عدوّنـــــا مـــالـه ملجـا ولا وزر وعندنـــا عـاديـات السّبق والضَّفَرِ
أمـوال أعدائنـــا في كـــلّ آونـة نقضي بقسمتهـا بالعـدل والقـــدر

وعليه، لاحظ بويجرة أنّ كلمات "الفرنسيس"، و"عدونا"، و"أعدائنا" التي استعملها الأمير عبد القادر في هذه الأبيات يقصد بها الغزاة الفرنسيين، وهي تراكيب لغوية ذات مسحة حضارية راقية بخلاف المعجم اللغوي المستعمل من طرف الفرنسيين في حق الأمة الجزائرية وفي حق الأمير نفسه.

4. إضفاء البعد الإستراتيجي على تيمات الشّعرية العربية: فقد لاحظ بويجرة أنّ قرض الأمير عبد القادر للشعر كان لمقصدية أخرى غير التعبير عن ما يجول في خاطره فقط من أجل الإبداع، بل إنّ شعره يكشف عن رؤيته الواسعة والشاملة لكل ما يعيشه الأمير من وقائع على صعيد الوطن ومصائر الأمتين العربية والإسلامية وحتى وقائع حوض المتوسط والعالم، مما أعطى لشعره بعدًا استراتيجيًا[1] معاصرًا لما كان يعيشه في عصر

[1] إنّ مواقف الأمير عبد القادر الشخصية والوطنية والدينية والقومية والإنسانية، هي مواقف جديرة بأن تجعل منه رجلاً غير عادي، أو رجلاً هو مفخرة لوطنه وقومه، وهذا ما جعله محل أنظار العالم وجلب له المدح والثناء من ملوك ورؤساء الدول آنذاك، على اختلاف نزعاتهم ودرجاتهم في العالم كلّه، فقد أصبح ينظر إليه على أنّه لم يعد

سادت فيه التقلبات والصراعات والتناقضات والخيانات والتقاعسات وإخلاف بالعهود، ليكشف من خلال ذلك كلّه عن رؤيته المتفائلة بغد أفضل يسود فيه العدل والحرية والمساواة، كما يتم فيه إعلاء شأن إنسانية الإنسان وخير دليل على ذلك قصيدة الأمير "ما في البداوة من عيب" والتي تمثل صيغة جديدة لحرب قائمة ودائمة بين "الأنا" و"الآخر"، ومن ذلك مثلاً قوله:

لا تذممنّ بيوتًـا خف محملهـا وتمدحن بيـوت الطين والحجر

وقوله أيضًا:

الحسـن يظهر في بيتين رَوْنَقُهُ بيت من الشعر أو بيت من الشَعَر

وفي هذا السياق يرى بويجرة أنّنا يجب أن نضع في اعتبارنا ماهية النص الإستراتيجي/ بعد الإنجاز، وكذا إستراتيجيته حين القراءة والتذوق، وذلك ما يدل دلالة قاطعة على أنّ إنجاز الأمير لنصوصه الشعرية لم يكن من باب الترفيه أو محاولة للتغلب على أوقات الفراغ، بل إنّ إبداعه لتلك النصوص كان بقصد إستراتيجي؛ يهدف إلى الردّ على ادعاءات الفرنسيين وافتراءاتهم، وهو ما جعل قصيدته "ما في البداوة من عيب" عبارة مرافعة جادة القصد منها الدفاع عن مرجعية وعن خصوصية "الأنا" الذي يعتبر الأمير أحد رموزه.

5. إلصاق ماهية التصوُّف بمنطوق المعيش اليومي: يؤكد بويجرة أن التصوف عند الأمير عبد القادر ليس هو ذلك الاختلاء بالنفس والانقطاع عن الناس، بل التصوف عنده هو ذلك التواصل الممتد بين الإنسان وأخيه الإنسان، ليصبح التصوف يعني التسلح بالإيمان بالله والإفادة من تجارب الذات وليس هروبًا من دسائسها ومفاجآتها واللجوء إلى تهويمات وتخيلات قد لا تمت إلى الواقع بصلة وخير دليل على ذلك البعد الذي أضفاه الأمير على ماهية التصوف قصيدته المعنونة "أستاذي الصوفي" والتي بلغ عدد أبياتها أحد عشر بيتًا بعد المئة، يقول في البيت الثاني منها بعد المئة:

وصرت مليكـا بعد ما كنت سوقـة وسـاعدني سعد فحصبـاؤنا درّ

بطل الجزائر فقط ولا رافع لواء الجهاد في سبيل الله فقط، بل رمز القومية العربية والتسامح الإسلامي، يراجع أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع نفسه، ص132، 133.

خلاصة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

استطاع بويجرة من خلال كتابه الموسوم بـ: "الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث" أن يسلط الضوء على قضية مهمة يتجاهلها الكثير–بقصد أو بدون قصد–من المهتمين بميدان الأدب العربي عمومًا، والشعر خاصة، لا سيما وأنّ الاعتقاد السائد حتى هذه اللحظة في موضوعات الأدب العربي أنّ رائد مدرسة الإحياء في الشعر العربي هو محمود سامي البارودي، في حين أنّ التأريخ لأي ظاهرة أدبية لابد وأن يخضع للتراتبية الزمنية، لذلك عمد في هذا الكتاب إلى إجراء موازنة بين الأمير والبارودي، فوجد أنّ نقطة الارتكاز في هذه الموازنة تبدأ من حيث المنشأ، فالأمير ولد سنة 1807م، في حين ولد البارودي في سنة 1839م، مما يدل على تقدم الأمير في العمر وفي تجربة المقاومة والنضال والحياة العسكرية وفي تجربة الإبداع الشعري بالخصوص.